Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 50, No. 4, 2023

Deanship of Scientific Research

Islamic Architectural Styles as Stimulus in Designing Schools: Applied Field Research for Primary Schools in Jordan

Mazen Arabasi* , ***Ashraf Al_Khattat***

Department of Interior Design, Faculty of Architecture and Design, Al-Ahliyya Amman University, Jordan.

Received: 26/12/2021
Revised: 6/3/2022
Accepted: 11/5/2022
Published: 30/7/2023

* *Corresponding author:*
m.arabasi@ammanu.edu.jo

Citation: Arabasi, M., & Al_Khattat, A. (2023). Islamic Architectural Styles as Stimulus in Designing Schools: Applied Field Research for Primary Schools in Jordan. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *50*(4), 203–226.
https://doi.org/10.35516/hum.v50i4.242

Abstract

Objectives: This research dealt with educational buildings from a functional and aesthetic point of view, where the first contact is formed for the student, and since the first impressions last, the external shape of the school is the first thing that the student comes into contact with, so the shape had to carry with it comfort and pleasure, to facilitate He has to accept the curricula himself highly, and since the inherited Islamic architectural styles are flourishing with their beautiful architectural vocabulary, the research aims to integrate them with the shape of the school, which will achieve a distinctive type of school forms in Jordan, and give the student joy and pleasure, which will be positively reflected on his educational achievement.

Methods: The research followed the historical and descriptive approaches by describing the historical Islamic architecture.

Results: The research concluded to prove the hypothesis of the study, as the use of Islamic architectural elements in the buildings of basic schools endears the student to the school, as well as to the importance of using the Islamic architectural style, especially the basic ones.

Conclusions: The researcher recommended incorporating a minimal Islamic style in schools, as determined by a specialized committee from the Ministry of Education.

Keywords: Architectural styles, child, education, psychological architecture, school.

الطرز الإسلامية المعمارية كمثير إبداعيّ في تصميم المدارس (بحث تطبيقي ميداني لمدارس المرحلة الأساسية في الأردن)

***مازن عبد الرحيم فريد عرباسي**، "محمد أشرف" عبد العزيز الخطاط*

قسم التصميم الداخلي، كلية العمارة والتصميم، جامعة عمان الأهلية ،الأردن.

ملخّص

الأهداف: تناول البحث المباني التعليمية من الناحية الوظيفية والجمالية؛ حيث تشكل الاحتكاك الأول للطالب، وبما أن الانطباعات الأولى تدوم فإن الشكل الخارجي للمدرسة هو أول ما يحتك به التلميذ وخاصة في المرحلة الأساسية ويؤثر فيه، فكان لابد للشكل أن يحمل في طياته الراحة والسرور، لتسهل عليه تقبل المناهج بنفسية عالية، وبما أن الطرز الإسلامية المعمارية المتوارثة مزدهرة بمفرداتها المعمارية الجميلة، فإن البحث يهدف إلى دمجها مع شكل المدرسة مما يحقق نوعا مميزا لأشكال المدارس في الأردن من ناحية، وإضفاء البهجة والسرور للطالب بما ينعكس إيجابا على تحصيله العلمي.

المنهجية: انتهج البحث المنهجين التاريخي الوصفي وذللك من خلال وصف العمارة الاسلامية التاريخية.

النتائج: خلص البحث إلى إثبات فرضية الدراسة، بأن استخدام عناصر العمارة الإسلامية في مباني المدارس الأساسية يحبب الطالب في المدرسة، وأن الاستعانة بالطراز الإسلامي المعماري في إنشاء المدارس وخاصة الأساسية منها يضفي على الطالب نوعا من القبول النفسي والإقبال على التعليم، إضافة إلى توعيته الثقافية بالطراز المعماري الإسلامي.

الخلاصة: أوصى الباحث في نهاية البحث بإجراء المزيد من الدراسات ذات الصلة، وأن يكون هناك حد أدنى للطراز الإسلامي في تصاميم المدارس تحدده لجنة مختصة من وزاره التربية والتعليم، وغيرها من التوصيات ذات الصلة.

الكلمات الدالة: التعليم، الطرز المعمارية، الطفل، العمارة النفسية، مدرسة.

© 2023 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المقدمة:

خير الله الانسان في حمل الأمانة فقبل حملها، والأمانة هنا يقصد بها الفرائض والطاعات ومنها قدره الاختيار فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي حاباه الله بعنصر الاختيار، فذلك يعني أن له جهازا يساعده على حسن الاختيار وحسن التمييز ما بين الصواب والخطأ، حيث أن هذا الجهاز وهو العقل، وهو ما يميزه عن جميع الكائنات التي خلقها الله، وبما أن هذا الجهاز يحتاج إلى تغذيه وتطوير دائم فهي التي تسهم في رقيه هي التعلم، قولا بكلمات الله " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" (القرآن 96: 1)، والآية في ظاهرها تشير إلى القراءة وذلك تمهيدا لقراءة القرآن وفهمه.

أهمية الدراسة:

يتناول البحث في مجمله أهمية أشكال المدارس وتصاميمها في المرحلة الأساسية، ودورها النفسي المهم في تقبل الطالب في هذه المرحلة السنية للمدرسة، ومن ثم المهام التي سوف تلقى على عاتقه من مناهج، وذلك بالاستعانة بمفردات متنوعة ومنتقاة بعناية وحرفية من مفردات طرز العمارة الإسلامية المميزة عالميا.

مشكلة الدراسة:

منذ أكثر من قرن مضى وشكل المباني المدرسية لا يزال كما هو حتى وقتنا هذا ويزداد سوءا، شكلا ووظيفة، وهو ما لا يسهم في اقبال التلاميذ على حب المدرسة والسعي إلى التعليم، مما يترك أثرا سلبيا لديهم ويسبب العديد من المشاكل الاقتصادية والأمنية والاجتماعية، إضافة إلى كراهية المدرسة.

أهداف الدراسة:

أولا: يهدف البحث إلى الإفادة من الموروث المعماري الإسلامي الزخم بمفرداته، وحتى لا تتشابه أشكال المدارس مع الأبنية والدينية، وذلك فيعلم النشء في مضمونه التصميمي إرثهم المعماري الإسلامي، وكيفية التعود البصري على مفرداته وتذوقها جماليا.

ثانيا: استنباط بعض التصميمات كنماذج متعددة مستعينا بمفردات العمارة الإسلامية في اشكال واجهات المدارس واسوارها وخاصه الأساسية منها، بحيث يمكن للمعنيين الإفادة منها وذلك حفاظا على الثروة القومية الأساسية للمملكة.

منهجية البحث:

اتبع البحث المنهج التاريخي والمنهج الوصفي في دراسة عناصر المشروع وتحليله، وذلك بسبب توافقهما مع طبيعة الدراسة.

فرضية الدراسة:

إن استخدام عناصر العمارة الإسلامية في مباني المدارس الأساسية يحبب الطالب في المدرسة.

متغيرات الدراسة:

يعدُّ المتغير المستقل هو شكل العمارة الإسلامية لمبنى المدرسة، أما المتغير التابع فهو تأثيرها على تقبل الطالب لها.

حدود الدراسة:

الحدود الموضوعية: التصميم الخارجي والداخلي للمدارس الأساسية بالأردن.

الحدود الزمانية: أوائل القرن العشرين حتى نهاية 2021 م.

مصطلحات الدراسة:

- **التصميم الداخلي:** هو تخطيط وتصميم الحيزات الداخلية التي يصنعها الإنسان، وترتبط ارتباطا وثيقا بالهندسة المعمارية، وعلى الرغم من أن الرغبة في خلق بيئة ممتعة موجودة منذ القدم، إلا أن مجال التصميم الداخلي يعدُّ جديد نسبيا. (Friedman, & Savage, 2021).
- **الطفل:** الطفل هو أي شخص يقل عمره عن 18 سنة. (Unicef، 2021، صفحة 3)
- **التعليم:** يعرف التعليم أنّه عملية منظمة تهدف إلى إكساب المتعلم أسسا عامة لبناء المعرفة؛ حيث يجري بطريقة مقصودة ومنظمة، ذات أهداف معروفة ومحددة.
- **المدرسة:** هي مؤسسة أنشئت من قبل المجتمع، تهدف إلى التربية والتعليم والتدريس. (عثمان م.، 2019، صفحة 24)
- **الطرز المعمارية الإسلامية:** هي خصائص بنائية استخدمت من قبل المعماريين المسلمين لتعبر عن هويتهم، حيث تأثرت في الدين الإسلامي إلى حد بعيد، حيث تختلف شكلا من منطقة إلى أخرى مع الاحتفاظ بالجوهر عبر العصور، كالأطباق النجمية، الزخارف النباتية وكذلك الأشكال التجريدية، وقد تم إعادة استخدام الفسيفساء في العديد من أعمال الإكساء وكذلك تم استحداث ما يعرف بالمشربيات من أجل تحقيق الخصوصية المهمة للهوية الاسلامية.
- **علم النفس المعماري:** هو علم يهدف إلى معرفة تأثير العمارة على الحالة النفسية للمستخدم، حيث يتم تطوير العمارة بما يخدم ذلك. (حسن، 2007، صفحة 25)
- **الاستدامة:** هو الاستغلال الأمثل للموارد والإمكانات المتاحة على نحو فعال ومتوازن بيئيا وعمرانيا لضمان استمراريتها دون إهدار

مكتسبات الأجيال القادمة. (Adam Ritchie، 2009، صفحة 22)

الدراسات السابقة:

تناولت دراسة (عثمان م.، 2019) بعنوان: **أثر الوظيفة على تصميم الحيز المعماري المستدام في مدارس الأساس في مدينه الخرطوم بحري**، بأن أبعاد الحيز المعماري ثلاث:

- البعد الأول: وهو البعد المساحي؛ بمعنى أبعاد الكتلة المعمارية المصممة.
- البعد الثاني: وهو البعد المعماري؛ الذي يعني بالشكل الجمالي والوظيفي.
- البعد الثالث: وهو البعد الاجتماعي؛ وكيف ان الحيز يؤثر نفسيا واجتماعيا في المتلقي، فلكل حيز معماري متعته البصرية والوظيفية.

وتناولت كذلك دراسة (الخولى، الشوربجى، الشربينى، ومحمد، 2016) بعنوان **الإفادة من العمارة الإسلامية في العصر العباسي كمدخل للتصميم المعاصر**، عرضا لفنون العمارة الإسلامية منذ نشأتها، وتناولت الزخرفة الهندسية والنباتية والكتابات العربية والمركبة في الفن الإسلامي في واجهات العمارة والمساجد والمدارس وعلاقتها بالمدرستين (مسجد ومدرسة السلطان حسن) و(المدرسة المستنصرية). وقد تم تحليل ومقارنة إنتاج مجموعة من الزخارف الهندسية والنباتية والكتابات العربية والزخارف والمقارنة في وحداتها الزخرفية وتصميمها في كلا المدرستين والمسجدين للوصول إلى فلسفة التوحيد.

أما دراسة (مغربي، 2019) بعنوان **استخدام العناصر المستقاة من الفنون الإسلامية في تصميم الهوية البصرية للمؤسسات** فقد تناولت دور عناصر الفنون الإسلامية من إبراز صور الحضارة الإسلامية، باختلاف طرزه وأساليب المدارس الفنية الإسلامية، ثم تناولت اهتمام البحوث بجماليات فن التصميم الإسلامي وإسهامه في الفنون المعاصرة.

وقد درس البحث مدى تأثير عناصر الفن الإسلامي على تصميم الهوية المؤسسية التي صممت للتعبير عن أهدافها، حيث درست العلامة التجارية وبعض العناصر البصرية المقدمة للجمهور، وأبرزت أن الهوية المؤسسية التي تنجح في البقاء هي التي تمنح القوة والحياة للمؤسسة، حيث ظهر الارتباط بينهما بقوة. حيث تلخصت مشكلة البحث في الإجابة عن كيفية الكشف عن الطاقة الإبداعية للتشكيل بالعناصر المستوحاة من الفن الإسلامي داخل تصميم هويات المؤسسات، كما هدف البحث إلى الكشف عن الطاقة الإبداعية للتشكيل بالعناصر المستوحاة من الفنون الإسلامية مع الدمج بينها وبين الحرف العربي داخل تصميم الهوية البصرية للمؤسسات، مما ساعد في بناء استراتيجية ابتكارية لتصميم الهوية تعتمد على التشكيل بالحرف العربي يستفيد بها دارسو تصميم الهوية البصرية.

الأديان السماوية والتعليم:

تحض الأديان السماوية على التعلم كأحد أهم السبل لإعمار الكون وتطويره ورقيه، حيث ورد في القرآن الكريم:

" اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" (القرآن 96: 1)

" قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ " (القرآن 39: 9)

" يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ" (القرآن 58: 11)

أما في (سفر الأمثال 18: 15) " قَلْبُ الْفَهِيمِ يَقْتَنِي مَعْرِفَةً، وَأُذُنُ الْحُكَمَاءِ تَطْلُبُ عِلْمًا ".

وإن كلمة التوراة تعني التعليم أو التدريس وقد استعملت اللفظة في الكتاب المقدس، فلا يوجد ما يدل على أهمية تعليم الإنسان أكثر مما جاء في الكتب السماوية، فكلها تحض على التعليم.

التعليم والتعلم

ثمة فارق كبير بين التعليم والتعلم، فالتعلم يكون في أي وقت وفي أي مكان وذلك حسب المتاح لكل شخص، على عكس التعليم الذي يرتبط بوقت ومكان محددين ثابتين مثل التعليم المدرسي أو الجامعي، أما التعلم فيكون فقط للشخص المتعلم دون وجود معلم، بينما في التعليم لابد من وجود طرفين هما الطالب والمدرس أي المعلم والمتعلم، وتحقيقا لعنصر المكان فإن المدرسة هي المكان الأول الذي يصادف الأطفال لتلقي العلم، وهو الركن الرابع المهم في عمليه التعليم وهي (الطالب، المعلم، المدرسة، والمنهج الدراسي) ولا تكتمل عمليه التعليم وتصبح جيدة الا بتوافر وجودة أركانها الأربعة. (النمائية، 2021)

الشباب والتنمية المستدامة:

تؤكد التوجهات العالمية على توافر التعليم الجيد وحصول الشابات والشبان على التعليم المجاني. (United Nations Organization، 2021)

لم تطلق الامم المتحدة على الشباب لفظة حاملي راية 2030 من فراغ، وذلك لدورهم المحوري مع الدولة ومع أصحاب المصلحة "رجال الأعمال" يقلل وبنسبة كبيرة من البطالة، والشباب المتعلم يسهم بدوره في تعزيز خطط التنمية للدولة. (United Nations Organization، 2021)

تعريف الطفل:

تعرف منظمه الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) أنّ الطفل كلمه مفردة بأنها الجزء من الشيء، والطفل هو أول الشيء، والطفل هو اول حياه المولود حتى بلوغه.

ويقسم علم الاجتماع التعريف إلى ثلاث اتجاهات بنفس المعنى إضافة إلى التعريف بين سن الرشد والبلوغ. (موضوع 2018)

وفي ما يتعلق بالتعليم فهي المرحلة الزمنية التي تسبق مراحل التعليم اللاحقة "إعدادي وثانوي" أي كما هو معروف في المملكة الأردنية من سن 6 سنوات وحتى 12 سنة.

الموارد البشرية:

اعتمدت الدول حديثا على الموارد البشرية على نحو أساسي، فهناك دول متقدمة كثيرة ليس لها من الموارد الطبيعية الكثير، فعلى سبيل المثال إن استخراج النفط من باطن الارض يحتاج إلى تكنولوجيا متقدمة للغاية، وهذه التكنولوجيا لا تأتي إلا عن طريق تعليم بشري على درجه عالية من الكفاءة، ولكي نصل إلى هذه الدرجة من التعليم لا بد ان يكون هناك تركيز مدروس وخاصة للأطفال فكما يقول العالم جون لوك "إن عقل الطفل مثل الصفحة البيضاء يسهل الكتابة عليها" (سليمان، 2015، صفحة 34).

التجربة اليابانية في التعليم:

يعدُّ الطلاب اليابانيون هم الأكثر إقبالا على التعلم عن غيرهم من شعوب العالم، وذلك ايمانا منهم بأن التعليم هو الطريق الوحيد والأمثل في الحصول على وظيفة مرموقة، وأن الاجتهاد والجهد والمثابرة هو السبيل الأمثل لتحقيق ذلك. فدولة اليابان التي تعاني من شح الموارد الطبيعية، حيث إن الأرض المتاحة للزراعة لديهم تكفيهم لزراعة الأرز فقط، وهو المحصول الأساسي والقومي لديهم، وهو للاستهلاك الشخصي، ويعود السبب الرئيسي في جعلها في طليعة الدول النامية ذات الاقتصادي الكبير والفائض الضخم، إلى الموارد البشرية التي أحسنت نشأتها وتعليمها مما جعلها رائده الدول الصناعية في العالم.

وتفوق نسبه التلاميذ في مرحلة التعليم الأساسي الابتدائي الالزامي 99%، ولا توجد مدرسة خاصة في هذه المرحلة، فكلها مدارس حكومية وذلك لحرص الدولة على أن يكون نوع التعليم واحد بهذه الفترة السنية ويكون أساسا لكل التلاميذ.

لقد فرضت إلزامية التعليم في المرحلة الابتدائية لمن تتعدى أعمارهم 6 سنوات وحتى 13 سنة، وكانت النظرة الاستراتيجية في اليابان تركز على التعليم، حيث إنه يمثل الاستثمار الحقيقي في المستقبل، وأن الانسان لابد أن يكون مؤهلا فكريا وجسديا، فالتعليم ليس مجرد عملية تلقين عقيمة، ولكنه سبر لأغوار التلاميذ وامكانياتهم، واكتشاف مواهبهم ومهاراتهم، وبذلك فإن المتعلم الصغير هو الهدف إلى الوصول لمشروع العالم المخترع، وذلك يخدم الهدف القومي للدولة في عمليه تقدمها. (بونعمان، 2012، صفحة 103)

الصورة 1: تصميم لعمارة أحد المدارس اليابانية الكلاسيكية /المصدر: (shootinjapan.net, 2021)

التجربة الألمانية في التعليم:

لا تختلف التجربة الألمانية كثيرا عن التجربة اليابانية، وخاصة في مرحلة التعليم الأساسي فتتفرد ألمانيا بتقليد يسمى الكيس المدرسي، حيث يتم اعطاء كل واحد منهم كيس مخروطي الشكل مملوء بالحلوى والألعاب، بهدف تخفيف الأعباء عن نفسيه الطفل التي ستلقى عليه في أول يوم دراسي لم يعتد عليه من قبل، إذ يعدُّ ارتباطا شرطيا إيجابيا يعد من أهم عناصر تحفيزه على حب المدرسة، ومن ثم حب المناهج. (DW Arabia، 2016)

دور المدرسة في عملية التنشئة:

تعد المدرسة بداية مرحلة الطفولة المتأخرة، وأن انتقال الطفل إلى مجتمع المدرسة يمثل مرحله تحول كبيره في حياته الاجتماعية والنفسية، فهو مطالب فيها بواجبات وأعباء لم يعهدها في المنزل، وذلك في حد ذاته يعدُّ حدثا كبيرا ففي المدرسة يخضع لنظام مسلسل غير سلطة والديه، وعليه تعلم سلوك المشاركة وآداب الحديث وإنجاز ما يكلف به من واجبات.

وتعدُّ المدرسة الجهة القادرة على التأثير إيجابا على شخصيه الطفل، وان قيامها برسالتها على أكمل وجه هو هدف أسمى، كما يمكنها أن تمحو أثر العادات والقيم غير السليمة. (السمالوطي، 1994، صفحة 27)

وكما ذكر سابقا بأن الزوايا الأربعة للعملية التعليمية هي: (الطالب، والمدرس، والمنهج، والمدرسة) فالطالب هو العنصر الأكثر أهمية، نظرا إلى أنّه العنصر المستهدف من العملية التعليمية وخاصه الأطفال في المرحلة الأساسية، وأن جميع العناصر التالية هي لخدمته وعوامل مساعدة مهمة، فلا طالب متفوق ونابغة إلا بوجود معلم متمرس ومؤهل لذلك، كما أن المناهج الدراسية نفسها وانتقائها بجوده علمية كبيرة تسهم في حسن تعلم الطفل وتأسيسه، فلا يمكن اسقاط أحد هذه الزوايا الأربعة ليكون المخرج سليما ومتكاملا. فالتلميذ أو الطفل في بداية احتكاكه بالعملية التعليمية لا يلتقي أولا بالمدرس ولا بالمنهج، ولكن أول ما يقع عليه بصره هو المدرسة وعالمه الجديد بعد المنزل، وبداية طريقه إلى مرحلة طويلة وشاقة من التعلم والتعليم، فإن لم يكن للمدرسة وقع نفسي مريح، فهو بالتبعية لن يقبل الاستاذ ولا المنهج المعطى له، لأن الانطباعات الأولى تدوم وتؤثر إيجابا أو سلبا فيه. وبما أن تخصص الباحثين هو العمارة الداخلية، فسيتم هنا تناول عنصر المدرسة معماريا وشكليا لما له من انطباع مؤثر وعلى نحو كبير في مرحله انتقال الطفل من المنزل إلى المدرسة.

لغة الحيز المعماري:

تعدُّ اللغة هي وسيلة الاتصال المميزة للإنسان عن باقي المخلوقات، وأن للحيز المعماري لغته الخاصة التي يستطيع مستخدم المبنى استيعابها بوضوح، فإن العمارة الجيدة هي من تحمل في تصاميمها هذه القيمة، كما أن للحيز لغة عالمية يشترك فيها كل من تتماثل حاجاتهم الوظيفية والنفسية. ويعرف ريتشارد آلتين مصطلح رمزية الحيز: بأنه الحيز المصمم بغرض تحقيق الحاجات الحسية والشعورية بالإضافة إلى الحاجات المادية أيا كان نوع المبنى.

وغالبا ما تشير كلمة رمزيه في العمارة أيا كانت (دينيه أو اجتماعيه أو مبان عامة كالمدارس) إلى معان شديدة الصلة بها، فعلى سبيل المثال إن الشكل الهرمي يحمل في طياته الإشارة إلى الحضارة الفرعونية التي كانت سباقة باختيار هذا الشكل الهندسي في عمائرها الجنائزية (عثمان م.، 2019، الصفحات 14-16)

رمزيه الاقتباس:

جدير بالذكر أن الرمزية تعني استحضارا للمعنى وليس نسخا منه، فالنسخ يلقى الرمزية، ويصبح مجرد نقل للمعطيات القديمة، ولكنه لا يضيف شيئا جديدا، فعلى سبيل المثال ان المصمم يمكن ان يستحضر روح العمارة الإسلامية في تصميماته وهذا يعدُّ رمزيا، أما إذا نقلها حرفيا بدون هضم تام لروحها، فيعدُّ نسخ لا يضيف جديدا. (عثمان م.، 2019، صفحة 17)

تاريخ نشأة المدارس:

إن ظهور المدارس ضارب في القدم تعود بدايته إلى القرن الثاني الميلادي، حيث إنه مع ظهور الكتابة في 3200 ق.م بدأت العملية التعليمية تظهر وتبلور، ولكنها اقتصرت على الطبقات الحاكمة وأبناء الملوك والأمراء والطبقة الثرية من الشعب في مصر القديمة، وهكذا فقد كانت أقرب ما يكون إلى الدروس الخصوصية وترك باقي الشعب لأعمال الفلاحة والصناعات الصغيرة. (عثمان م.، 2019، صفحة 24)

العمارة النفسية وتأثيرها على صحة الانسان:

على الرغم من غرابه العنوان إلا أنه واقعي، فالعمارة على مر العصور هي تصميم للمباني المستخدمة بأسلوب حياة الناس، حيث يؤثر إيجابا في المستخدمين، فتزداد الإنتاجية للكبار، ويزداد التحصيل العلمي للصغار، والعكس صحيح وهذا ما ادى إلى ظهور ما يسمى بالعمارة النفسية في أوائل ستينات القرن المنصرم، فيتم في أثناء تصميم المباني بمختلف استخداماتها التعاون بين علماء النفس المعماريين من أجل تحقيق الحاجات النفسية للمستخدمين. وبالتدريج بدأ يقل الاهتمام بهذه الشراكة بين علماء النفس والمعماريين في مرحله التصميم حتى أصبح من الغريب وجودهم معا.

لقد أدخلت منظمه الصحة العالمية متلازمه مرضى المبنى على نحو رسمي ضمن الأمراض المعاصرة، فوصفت أعراضه بالتهاب البشرة والحكة والجزع والصداع والعيون الدامعة، حيث تبين اختفاء أعراضه عند الانتقال من المكان إلى غيره. (العطا، 2020)

الصورة 2: التأثير النفسي لعمارة المدارس على المشاهد (المصدر: تصوير الباحث)

لن يساهم المبنى في جعل الانسان بصحة جيدة فقط، ولكن التصميم الفاشل للمبنى قد يجعلك مريضا وهذا بدوره يسهم سلبا في سلوك الانسان.

من أنواع العمارة النفسية كذلك، العمارة الغريبة الأطوار، فمع نشر "بيان السريالي" لأندريه بريتون في باريس، لم تتوقف الهندسة المعمارية عن إدهاش الناس. فنرى الفوضى تجلت على نحو مدهش في قطع معمارية فريدة من نوعها، هذه الأعمال الجديدة المصممة بأشكال مختلفة عما نراه عادة في معظم المباني قد تخلت عن المعتاد من خلال الهياكل الواقعية ورموز التصميم غير العادية، فنرى العديد ممن تأثروا في هذه العمارة، ووصل تأثر العرب منهم فيها كأمثال المهندسة زها حديد، ودخول مبانيها إلى المنطقة العربية كما في برج العرب.

الصورة 3: العمارة غريبة الأطوار (السيد، 2021، صفحة 97)

تأثير العمارة على سلوك الانسان:

إن للعمارة دورا مهمًّا في تغيير السلوك البشري، وتلعب أيضا دورا لا يقل أهمية على الحالة النفسية، فالعمارة هي من صنع الإنسان، وعليه فان المعماريين والمصممين الداخليين يجب ان يهتموا بحياة الإنسان وسلوكه ونفسيته وراحته المعنوية والمادية للحد من الظواهر السلبية.

تعدُّ المفردات التراثية وخاصة الإسلامية بارتباطها في علاقة متبادلة لتستقر على التشكيل المعماري، فإذا اختلت فقدت توازنها وجمالها، ولذلك نؤكد أن تقييم اللغة المعمارية الإسلامية ليست فقط مجموعة من المفردات المعمارية تجاور بعضها، بل هي مجموعة من العلاقات المتجانسة.

العمارة الإسلامية شكلا ومضمونا:

لا شك في أن الفن الإسلامي المعماري قد أثر في فنون الغرب على نحو ملحوظ، وذلك على مر العصور، فقد كان للانفتاح على الحضارة الإسلامية أثر كبير في حضارات وفنون الغرب، وذلك عن طريق الفتوحات الإسلامية، وإن أكبر دليل على ذلك ما أضافته على اتجاهات ما بعد الحداثة التي

احدثت بها ضجة في متاحف الغرب ودعوة نقادهم ومؤرخيهم منذ القرن التاسع عشر ميلادي للإفادة منه.

العمارة الإسلامية كمثير إبداعي:

يؤكد البحث في مضمونه أن استلهام عناصر الفن المعماري الإسلامي كمثير إبداعي يمكن الإفادة منه في العديد من المجالات وخاصة المعمارية منها، حيث نطاق التخصص ليس فقط من واقع التعصب أو التحيز له لمجرد أنه فن يمثل المسلمين، ولكن لأنه فن جامع مانع، وهو من الدسامة بحيث بعد مرور أكثر من 1000 عام مازال يبهر من يراه بإعجازة التشكيلي والوظيفي رغم اختلاف عقيده المتلقي، وان كثيرا من الفنانين الذين ارتبطوا بهذا الفن وتأثروا فيه كان لهم تأثيرهم الواضح والجلي في المجتمع بأعمالهم المتأثرة فيه، مما يؤكد أن مميزات وخصائص هذا الفن وملامحه الرمزية والجمالية وايقاعاته الموسيقية وتناغمه الحسي المرهف يتعايش مع العصر منذ ظهوره وحتى وقتنا هذا.

الصورة 4: استخدام عناصر الفن الإسلامي في مطعم شهرزاد بجانب المسجد الأموي في دمشق (المصدر: تصوير الباحث)

الصورة 5: رص الحجر الأبلق في واجهات العمارة الإسلامية قرب ساحة باب مصلى في دمشق (المصدر: تصوير الباحث)

ويقصد بالفن الإسلامي: ذلك الفن الذي ابتكرته الشعوب الإسلامية عامة، والدول العربية خاصة، وقد أصبح من أوسع الفنون التشكيلية والمعمارية في العالم انتشارا وأطولها زمنا، فلقد بدأ الفنان المسلم في استيعاب الفنون الأخرى كالفن البيزنطي، الساساني، الروماني، القبطي، الهندي، وفنون شرق آسيا الصغرى والصين، ومن ثم مزجها بفنونه الإسلامية، ثم اجترارها مرة أخرى في صياغة متجانسة دون فقدان لشخصيته المميزة، بما يلائم ذوقه وإحساسه واستبعاد ما لا يناسبه، واستمرت حوالي ثلاث قرون تقريبا، وأصبح بعدها للفن الإسلامي في جميع المجالات الفنية التشكيلية الخاصة التي لا تخطئها العين. (زينهم، 2017)

وتم تحويل بناية يعود تاريخها إلى زمن الخليفة أبي العباس أحمد المستظهر بالله (470-512هـ)، إلى مكان يتم فيه اجتماع رواد شارع المتنبي لإقامة الفعاليات والنشاطات الثقافية المتنوعة، بعد أن كان أغلبها يقام على أرصفة الشارع.

الصورة 6: تظهر جماليات العمارة الإسلامية في مبنى المركز الثقافي البغدادي (صحيفة المشرق، 2021)

كما يمكن الاستلهام من عناصر العمارة الإسلامية في التصاميم الحديثة مع تحويرها وتعديلها بما يتناسق مع الخامات الحديثة للمباني.

الشكل 1: تظهر رسم ثلاثي الأبعاد لمبنى تم تصميمه وفق الطابع الأندلسي من العمارة الإسلامية
(المصدر: www.mahmoudqahtan.com)

لقد شكلت العمارة الداخلية الإسلامية رمزا يجرد فلسفة الحياة الإنسانية، حيث تفاعلت مع الذات البشرية، وفي ذلك تكمن قوتها الجمالية التعبيرية التي استمدت من الرؤية الدينية، مما جعلها ترقى بحياة الانسان لتكون للعالم منهجا يتجاوز ويتخطى حدود المكان والزمان، ولذلك فإن لتحديث الرؤى التحليلية لعناصر ومفردات العمارة الإسلامية ما جعلها تتفق وتتناسق مع الأيدولوجيات المعاصرة، ليحافظ على الحضارة المعمارية الإسلامية من الاندثار. (إمام، 2007، صفحة 566)

العمارة الإسلامية:

للعمارة الإسلامية شقان، الاول هو شق تشتهر به مبانيها من ناحيه الوظيفية والشكل المميز، حيث احتوت على أغلب المسميات المعمارية للمباني في ذلك الحين، فعلى سبيل المثال من أشهر العمائر (المسجد، الجامع، المدرسة، الزاوية، المشهد، الضريح، الخانقاه، التكية، الرباط، السبيل، الكتاب، البيمارستان، الخانات، الحمامات، السلاملك، الحرملك، الربع) ولكل منهم تعريف منفصل قائم بذاته، ولكننا لسنا بصدد الحديث عن أنواع المباني الإسلامية ولكن لكل من هذه المباني السابقة مفردات معماريه ثابته قد تتوافر في مبنى ولا تتوافر في مبنى آخر، كل حسب وظيفية التصميم المنوطة به، ونذكر في البحث أهمها والأكثر شيوعا.

الكابولي: هو بروز من حجر أو خشب أو من آجر أو من حديد أحيانا، يبني خارجا عن الواجهة ليكون بمثابه دعامة تحمل شرفة أو مشربية، وكثيرا ما كانت هذه الكوابيل بهيئة حيوانات لتوحي بالقوة والقدرة على حمل الأحمال الإنشائية، ويمكن للكابولي أن يشكل بوضع عدة أحجار فوق

بعضها يعلوها كمرة خشبية تدخل في البناء، ويعرف بأنه مسند بارز عن الكتلة المعمارية للمبنى، وقد استعمله العرب أسفل الأبراج الحربية لزيادة الدعم، كما استعمل أسفل طبقات المآذن بديلا عن المقرنصات. (عيسى، 1988)

الشكل 2: مجموعة من الصور للكوابيل (المصدر: www.pinterest.com)

1. **المشربية أو الشنشول:** هو حاجز أو حاجب من خشب الخرط، استخدمه المعماري المسلم وذلك بوضعه أمام فتحات النوافذ الخاصة؛ لستر من في البيت لاسيما الحريم، لكنه لا يمنع من رؤية من بالشارع من ناحية، ولكي يلطف من حرارة الجو داخل المنزل صيف من ناحية أخرى. كما أن له وظيفة أخرى هي الحد من شدة الإضاءة النهارية وخاصه في فصل الصيف، ويرجع تسميتها بالمشربية لأن الناس اعتادت على وضع الأواني الفخارية المخصصة للشرب في أماكن معينة لها داخل المشربية. (عيسى، 1988)

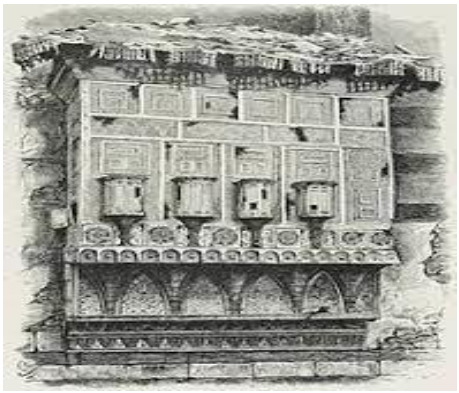

الشكل 3: مجموعة من الصور للمشربيات أو الشناشيل (المصدر: www.pinterest.com)

2. **المقرنصات**: هي إحدى أشهر عناصر العمارة الإسلامية المميزة لفنونه ومفرداته، ويشبه المقرنص الواحد محرابا صغيرا. وتعرف الموسوعة البريطانية المقرنص أنّه وسيلة الانتقال من مربع إلى قبة، وقد ظهر في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي عبر العالم الإسلامي. (الغيط، 2017، ص 12-15)

الشكل 4: مجموعة صور للمقرنصات (المصدر: www.pinterest.com)

4. **العقود والاقواس**: وهي نفس المسمى لكن مع فارق الشكل، فلكل عقد مسمى مختلف وذلك حسب شكله والغرض من إنشائه، وتعد العقود أو الأقواس أحد أهم سمات العمارة الإسلامية، فبالإضافة إلى الغرض الإنشائي منها حمل الأسقف وتوزيع الأحمال للتخفيف من ضغطها، كان للعقود شكلا جماليا يعطي مسحة زخرفية، كما أنه من أهم الأشكال التي تعطي انطباعا بالفن الإسلامي.

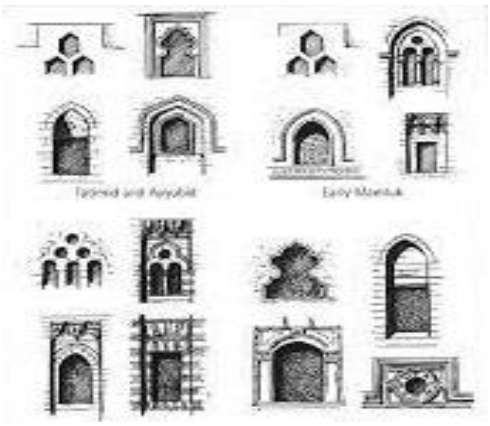
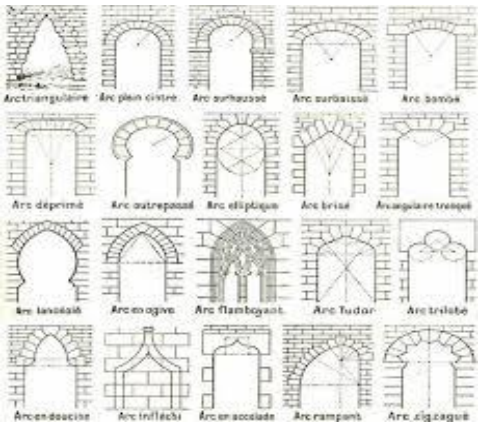

الشكل 5: مجموعة من العقود وأجزاءها الرئيسية (المصدر: www.pinterest.com)

ويرجع تاريخ العقود إلى ما قبل الإسلام، واقتصر على العقد الدائري فقط، ولكنها شهدت تطورها وقمة مجدها وتعدد أشكالها ووظائفها في العمارة الإسلامية ويكفي أن هذا العنصر هو أكثر ما يميز العمارة الإسلامية بتنوعه وأشكاله ووظائفه، فهو يعدُّ السمة المميزة للعمارة الإسلامية التي لا يختلف عليها المشاهد. (Civilization Lovers، 2012)

5. **الأعمدة والتيجان**: كانت الأعمدة قديما بدن مربع المقطع ليس له قاعدة أو تاج، ثم تم تطويره بمرور الزمن وأصبح دائري المقطع، وقد أخذ فكرة استدارته من جذوع النخيل. وفي صدر الإسلام كان العرب يقيمون مساجدهم برفع سقفه على أعمدة من جذوع النخيل، ومنها بدأوا في ابتكار أعمدة وتيجان مثل العامود ذو البدن الاسطواني، والأعمدة المضلعة أو الأسطواني الحلزوني، أو العمود ذو البدن المحلى، وهناك عمود آخر وهو العمود ذو القنوات، وكانت الأعمدة الرخامية توضع في بعض الأحيان في سمك الجدران كأربطة كما كان في اسوار القاهرة القديمة. وكان يوجد بأعلى التيجان وأسفلها ما يسمى بالروابط الخشبية، وكانت تسمى أيضا أوتارا، وهي بمثابة الجسر الذي يربط الأعمدة حاليا، وقد استبدل بروابط حديدية لزيادة متانتها، وكانت لها عده استخدامات اخرى كتعليق وحدات الإضاءة عليها. (نهرو، 2016)

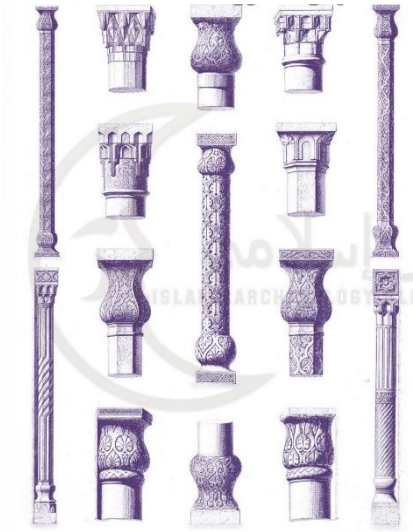

الشكل 6: مجموعة من صور الأعمدة والتيجان (نهرو، 2016)

6. الملقف، البارجيل، البادنج: استخدم الملقف في مصر أبان العصر الفرعوني المصري القديم، وقد استدل على ذلك من الرسم في مقبرة من الأسرة الفرعونية التاسعة عشر أي نحو 1300 ق.م، وهي تمثل مسكنا يعلو سطحه شكلان متماثلان، وينسب البعض ابتكار الملقف إلى العرب، وكان الملقف منتشرا بكثرة في أبنيه العصر العباسي، وفي العصرين الأيوبي والمملوكي بمصر كما هو قائم في مسجد الصالح طلائع والمدرسة الكاملية في مصر، وقد امتد استخدامه حتى مدينه حمص بسوريا، ويحمل بطبيعته قيمة وظيفية في العمارة الإسلامية، إضافة إلى الشكل الجمالي. وكما يظهر في صور الأشكال فإن الملقف هو مسمى مصري، والبارجيل هو مسمى في دول الخليج، بالبادنج هو مسماه في إيران والعراق، وهو لا يتم عمله إلا في الدول ذات المناخ الحار والجاف التي يندر وجود الامطار بها.

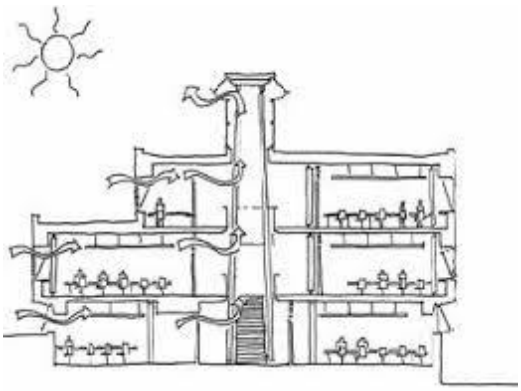

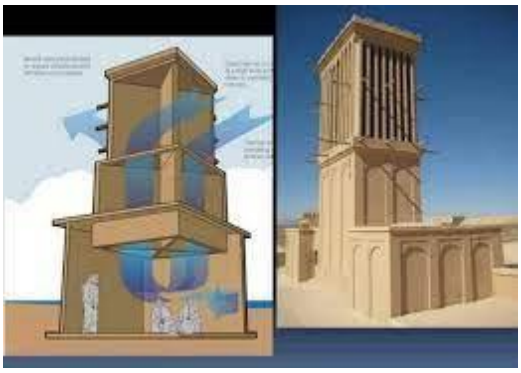

الشكل 7: صور لمجموعة من الملاقف واستخداماتها

(المصدر: www.pinterest.com)

ويراعى في الملقف أن تكون فتحته عكس اتجاه الرياح، ففي مصر مثلا يكون اتجاهه واحدا دائما وإلى الجهة الشمالية الغربية أي (الوجه البحري)، نظرا إلى ثبات الاتجاه البحري للرياح، أما في دول الخليج كما هو موجود بالأشكال، فقد صمّمه على أربع اتجاهات لضمان دخول الهواء من احداها؛ حيث إنّ اتجاه الرياح في تلك المناطق تختلف من وقت إلى آخر خلال السنة.

7. الزخارف: تعدُّ الزخارف شعبة من أرقى شعب الفنون الجميلة في الخمسينات والستينات من القرن العشرين، وكان قسم التصميم الداخلي الحالي يطلق عليه قسم الزخرفة، ثم تطور الاسم والمحتوى والمناهج وذلك حسب تطور حاجات المجتمع، ويهتم بالزخارف كل شخص يعشق الجمال سواء المحترف أو الهاوي، وللزخارف أشكال عديدة، منها ما هو مستمد من أشكال هندسية بحتة، وأشكال نباتية أو حيوانية، وهي تتنوع وتتداخل في تناسق فني رائع، لتنتج في النهاية شكلا جميلا ومميزا، وتستخدم في تزيين المباني والمساجد والمتاحف والقصور وحتى في الأواني، وقد تصل إلى الملابس في بعض الأحيان. (الصافي، 2021، صفحة الزخرفة)

القيمة الأصيلة للفن الإسلامي:

ومما سبق استعراضه من مفردات المعمار والزخارف الإسلامية في نظرة سريعة وعلى سبيل المثال وليس الحصر، فالفن الإسلامي بجميع جوانبه يصعب حصره في بحث وكتاب واحد لما له من دسامة وامتداد جذري ضارب في القدم والأصالة الممتدة عبر آلاف السنين.

إن أغلب مفردات الفن الإسلامي تميزت بالثراء المادي والحرفي في عصور لم تكن للمادة هذا التكالب، فما يمكن عدّه مكلفا الآن كان في حينه تحصيل حاصل، وكان يوجد بالتبعية العديد من العمالة الماهرة المتأصلة بالمهنة والموروثة أبا عن جد، وهذا في حد ذاته عنصر قوي لامتداد هذا الفن لمئات السنين، وبتطور الزمن وتغير الأحوال غلب الطابع المادي على الحياة، إضافة إلى الاتجاه نحو تعليم الأبناء حرصا على تبوئهم مراكز عليا في المجتمع، ووسيلة لجلب المال أيضا، فقدت الحرف المتنوعة للعامل الماهر.

وقد سهل عصر الآلة كثيرا على الحرفيين عنصر الوقت، وقلل التكلفة، إضافة إلى التقدم التكنولوجي الهائل وظهور الخامات البديلة، إلا أن الأصل التصميمي يبقى ثابتا شكلا، ومتغيرا نوعا أو خامة، فعلى سبيل المثال أصبح الأرابيسك أو الخرط الذي كان يستخدم في عمل الأثاث والمشربيات من الخشب عمله من أنواع معينه من اللدائن أو البلاستيك، مما يقلل من التكلفة المرتفعة.

الشكل 8: مجموعة من صور الأرابيسك المستخدم في صناعة الأثاث (المصدر:www.pinterest.com)

الاستنباط من العمارة الإسلامية بالمدرسة:

تعدُّ المدرسة الصرح المهم في حياة الطفل، فهي مقصده الأول بعد المنزل، وهي أول علامات التزامه بمتطلبات لم يعهدها من قبل، وهي اول كتله معمارية اجبارية له بصفة يومية، وعليه فإن انطباعاته عنها لا بد أن يكون لها تأثير نفسي جديد عليه، وقد يصل الحد إلى تنمية شعوره بحبها عن طريق شكلها.

الشكل 9: مجموعة صور لواجهات خارجية لمباني مدارس مختلفة (المصدر: www.pinterest.com)

فإذا تم النظر للصور السابقة لبعض المدارس على اعتبار أنها مدارس بدرجه تعبر عن فنتازيا المعماري، الذي يقارب رسوم الأطفال، وما يمكن ان

يندرج تحته مباني الملاهي والألعاب، وغالبا ما يحقق هذا النوع من العمارة راحة نفسية وحب عند الأطفال وتلاميذ المرحلة الأساسية، التي نحن بصددها في هذا البحث، وكما سبق ذكره فإن للعمارة حالة نفسية تؤثر بصفة مباشرة في قاطنها ومستخدميها، فيمكن أن يكون لها تأثير نفسي سلبي أو إيجابي.

ومن منطلق أن للعمارة حالة نفسية فلا جدال أنه لا يختلف اثنان عن أن العمارة الإسلامية عامة، والإسلامية السكنية خاصه، تضفي حالة من الراحة النفسية والانبهار النابع من الزخم المعماري لمفردات هذا الفن.

الشكل 10: صور لنماذج من العمارة النفسية الإسلامية (المصدر: www.pinterest.com)

إن عمليه الاقتباس من العمارة الإسلامية، دونما الإخلال بشخصيته هي بعينها كعملية الاستلال في الأبحاث العلمية، بمعنى أنه يمكنك الاقتباس من أي مادة علمية، ولكن دون الاخلال بالمعنى، وإلا أصبح النص خارج سياق معناه ومغزاه، وهذا لا يأتي إلا إذا كنت -أي المصمم- متعمقا في جذور العمارة الإسلامية ومتخللا في كينونتها، والا أصبح تشويها معماريا متأثرا في الاتجاهات الغربية كما في الصور التالية:

الشكل 11: صور لنماذج تأثرت فيها عمارة مباني إسلامية بالعمارة الغربية (المصدر: www.pinterest.com)

وأقرب مثال للاقتباس مع الخروج عن الأصالة هو ما تمثله الصورة التالية، حيث يرجع ذلك إلى أن المعماري الغربي عندما يصمّم تصميمًا مستوحى من الطرز الإسلامية فهو يستقيه من الصور أو المراجع الخاصة بالعمارة الإسلامية، ويفتقد إلى المعايشة والتشبع النظري والحس الديني ومدى تذوقه لمفرداته من زخارف بأنواعها المتعددة، فهو يقتبس مجرد كتلة، إضافة إلى تشبعه بالاتجاهات المعمارية الحديثة التي هي مجرد فكرة وليدة لأحد المعماريين الغربيين، دون أن يدري بأن المعمار الإسلامي هو طراز له روح وعمق تاريخي متأصل.

فلا شك في أن أغلب المعماريين الغربيين تأثروا في تلك الاتجاهات ووضعوا لها أسماء غريبة كالتفكيكية والتفتيتية وأطلقوا عليها اسم الطراز العالمي، وهو في الحقيقة اسم رنان لما ليس له صفه أو شخصية كالعمارة الإسلامية العريقة المتأصلة، فعلى سبيل المثال أنه يمكن وصف أي مبنى معماري ذو طراز إسلامي من مفرداته المعمارية المعروفة، أما إذا أردت أن تصف مبني على الطراز العالمي إن صح التعبير، فقد يمكنك وصف أي مبنى في أي بلد بمجرد أنه من الحديد والزجاج ليس له أي مفردات خاصة ينفرد بها عن غيره على غرار الطراز الهندي أو الصيني أو الياباني من العمارة التي لها شخصية ومفردات ثابتة لا تخلو من العنصر الجمالي.

تصاميم المدارس:

إن مقولة أن المبنى المعماري يعبر عن الغرض الوظيفي من تصميمه وإنشائه هي مقوله غاية في الدقة والتعبير، وإلا تشابهت المباني وضاعت الرؤية الجيدة والتصميم المميز، والبحث بصدد تأمل المباني التعليمية وخاصه مدارس المرحلة الأساسية، لما لها من أهمية وخطورة تصميمية كما سبق ذكره، وهناك اشتراطات عالمية عند إنشاء مدرسة، حيث إن من هذه الاشتراطات توافر عنصر الأمان والوظيفية أولا، ثم لابد وحتما أن يكون لها عنصر جمالي جذاب لإتمام الهدف الأساسي من إقامتها.

الحقيقة الصادمة عن أشكال المدارس في أغلب أقطارنا العربية تخضع لنفس الشكل منذ أوائل القرن العشرين، وتفتقر إلى عنصر الجمال، وكثيرا من العناصر الامنية واشتراطات السلامة، والجدير بالذكر أن التعليم وخاصه الأساسي أصبح مجرد حيز فصلي يضم تلاميذ على المقاعد ومدرس يلقنهم دروسهم في هذا الحيز المهمل، الذي يقضي فيه الطالب نصف يومه تقريبا، حيث يؤثر فهم نفسيا، وهكذا يؤثر على نحو سلبي في مستوى التحصيل العلمي والإبداعي، وهما الهدفان الأساسيان من عملية التعليم واقامة المدارس.

المساقط المدرسية العالمية:

إن تخطيط أي مدرسة عامة ومدارس المرحلة الأساسية خاصة، لا بد أن يكون لها اشتراطات خاصة للغاية، ولابد لفريق التصميم أن يضم مع المعماري والإنشائي والمصمم الداخلي أحد متخصصي علم النفس التربوي، وعلى درجه عالية من الإلمام والفهم بهذه المرحلة السنية ومتطلباتها.

إن الفصل الدراسي الجيد وحسب الاشتراطات العالمية يجب ألا يزيد عن 20 طالبا، وهذا له أسس علمية، حيث يتم تحديد حيز الفصل الدراسي، فلكل طفل متوسط 1.75 متر^2، يشمل مكان جلوسه ومساحة حركته فيها، إضافة إلى المسطح المخصص للمدرس، وعليه يكون متوسط حيز الفصل 40 متر^2 مما يوفر أيضا فترة زمنية محددة للمدرس في متابعة الطلاب والتركيز على الضعاف منهم، وأن الفترة الزمنية المخصصة لكل حصة في حدود 50 دقيقة بالكاد تكفي. علما بأن المتوسط المعماري لحركة الطفل أو الطالب تكون تبعا للعمر، فحجم الطفل ذو 7 سنوات ليس بحجم طالب بعمر 16 سنة، فكلما زاد حجم الطالب زاد المسطح الحركي له.

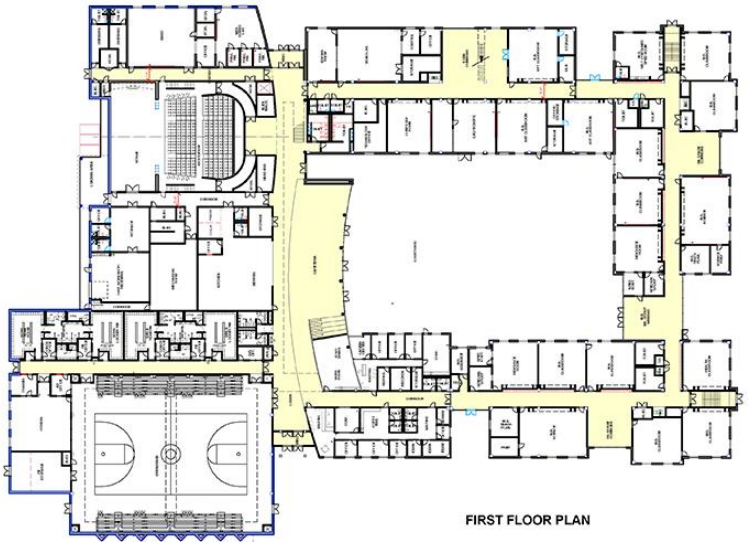

الشكل 12: مساقط أفقية لمدارس عالمية توضح الاختلاف والتنوع والنمطية الموجودة في مدارسنا

الشكل 13: مساقط أفقية لمدارس عالمية

ويعني هذا أن التوزيع الأفقي المدروس للمدرسة من الأهمية بمكان، ولابد أن تتوافر فيه عناصر الجمال والألوان المريحة، التي تسهم بدورها في رقي عمليه التعليم وتحقيق الهدف منها.

المدارس العالمية:

من شكل واجهات المدارس العالمية وبصرف النظر عن التوجه المعماري إلا أنها جميعا كما يظهر بالصور لها من القبول النفسي واللون ما جعلها محببة لدى التلاميذ، وهذا في حد ذاته هدف قوي ومؤثر.

الأسوار الخارجية:

صممت الأسوار أصلا لمنع دخول الغرباء وحجب من بالداخل عن الخارج، وكان في الأعم لقصور الطبقة الثرية من المجتمع، أما القصور فكان لأسوارها أشكال متعددة، تعبر عن الثراء والفخامة المعمارية.

ويلاحظ في أغلب صور المدارس العالمية عدم وجود أسوار لها، لما له من دلالة نفسية مهمة، فبناء سور للمدرسة يعطي إحساسا بالاحتباس الجسدي إن صح التعبير، كما في مدارس الوطن العربي، أما المدارس الأجنبية فالكثير منها يعتمد على الإقبال الجسدي والنفسي للطالب، وتعطيه مفهوما راسخا في أنه حر في أن يتعلم او لا يتعلم، فهو بالتبعية مخيرا في قراره وأن الأسوار لن تجبره على تلقي العلم رغما عنه. وإذا كنا بصدد التركيز على العنصر الجمالي للمدرسة كأحد أهم وأول عناصر الجذب البصري فيتبعه النفسي، وبما أننا في الوطن العربي أو حتى في جميع الأقطار التي تتمتع بوجود الفن المعماري الإسلامي بجميع أشكاله وأنماطه حسب القطر الذي يتبعه، وبأن لدينا هذا الزخم والموروث الضخم الذي لا ينضب ولا يضمحل، فمن الأجدر بنا تصميم مدارسنا على هذا الطراز الجميل والموروث الخاص بنا.

أنماط المدارس في الأردن:

1. المدارس الخاصة، إن مفهوم المدارس الخاصة يفهم منه امتلاكها لشخص أو عده أشخاص، وهو خاضع تعليميا لوزارة التربية والتعليم من الناحية المنهجية، ولكن بجودة أعلى من الحكومية، وعلى الرغم من أنها تنعم بقدر مادي أوفر وميزانية كبيرة في تجهيزها داخليا وخارجيا، إلا أن ذلك قد لا يتوفر في كثير منها ويغلب عليها الطابع التجاري المادي الربحي، وتم إهمال الشكل الخارجي الذي يعد عنصرا جذابا ومحببا للتلاميذ، واعتمدت في ذلك الجذب على أنها مدرسة خاصة يتوافر لديها الأساتذة الاكفاء.
2.

الشكل 14: صور لبعض المدارس الخاصة في المملكة الأردنية الهاشمية (المصدر: تصوير الباحث)

كما أن بعض المدارس الخاصة قد تلجا إلى شراء مبنى غير مخصص بالأصل للغرض التعليمي، وتم تحويله إلى مدرسة كما في الصورة اللاحقة، ولكن بسبب خضوعه للشروط فقد تم عمل سلم للهروب على الواجهة الرئيسية من الحديد، مما أعطى شكلا سيئا للمدرسة، علاوة على شكلها الأصلي المنفر معماريا ووظيفيا.

الصورة 7: مدرسة خاصة يظهر بها إضافة سلم الهروب الحديدي على واجهة المبنى (المصدر: تصوير الباحث)

ولابد من التنويه إلى أن مثل ذلك لا يتأتى للمدارس الحكومية، أما باقي المدارس الخاصة سيعتمد جودة مبناها على بنائها بالحجر، وعلى نحو وكتل معمارية جيدة، إلا أنها تفتقد لعنصر الجذب البصري المحبب لدى التلاميذ. والبعض الآخر من المدارس الخاصة كما في الصور التالية فقد غيّرت ألوان المداميك وذلك على غرار الحجر الأبلق، وهو نوع من أنواع الفنون الهندسية الإسلامية، والحقيقة فهي تعدُّ بادرة جيدة، إلا أن الكتلة المعمارية لم تسعف المعماري في إظهار مناح أخرى من العمارة الإسلامية، فعند استخدام هذا النوع من التكسية الخارجية لأي مبنى لابد وأن يتوافر له عنصر الارتفاع حتى يتم تذوق التتابع لمسافة كبيرة على نحو جميل.

الصورة 8: مدارس خاصة مبنية بالحجر الطبيعي مع التطعيم الأبلق للواجهات (المصدر: تصوير الباحث)

كما أن الدرجات اللونية غالبا ما تكون متعددة الألوان، وعلى بعد ترتيبي متسق بين الألوان، فيقع اللون الأبيض بين كل لون وآخر، ليضفي حالة من الجمال، مع البعد عن الرتابة غير المحببة.

ويمكن أن نرى اتجاهات أخرى للمدارس الخاصة، حيث إن هناك مدارس لجأت إلى الحلول اللونية كعناصر جذب للطالب، وبذلك مالت إلى التصميم الغربي للمدارس، ويعدُّ هذا تقصيرا بحد ذاته في بلادنا التي تنعم بموروث حضاري من العمارة الإسلامية في حق هذا الارث الثري. فنرى أن هناك مدارس خاصة لجأت إلى الطراز الغربي القديم "طرز عصر النهضة" كما في الصورة التالية لمدرسة ذات قيم تعليمية إسلامية بالأصل، ورغم أن ذلك يعدُّ أقل ضررا، إلا أنه لم يخل من التساؤل المهم؛ وهو هل نفتقر إلى طرز أدت إلى اللجوء للاقتباس من الطرز الأخرى.

الصورة 9: مدرسة خاصة إسلامية، مبنية بواجهات من الطرز الغربية (المصدر: تصوير الباحث)

3. المدارس الحكومية وهي في العموم أقل حظا من المدارس الخاصة، ولا يتوافر لها الكثير من العناصر الجمالية وربما الوظيفية، والسبب في ذلك غير محدد تماما، وأغلب الظن بأنه نظرا إلى قلة المخصصات المادية وهذا ليس بالمبرر القوي، فالمباني المدرسية هي في الحقيقة حاضنة الأجيال القادمة من القادة والعلماء لبلادنا، فإذا كانت الحاضنة بهذا الشكل فلا عيب من أن يبقى أطفالنا في مرحلة الخداج، وهم أجدر بالصرف عليهم نظرا إلى العائد الاقتصادي الكبير الذي ينتج عن حسن رعايتهم تعليميا، هذا إضافة إلى أن المدارس لابد وأن يتوافر لها عنصر الاستدامة، لأنه منوط بها تخريج العديد والعديد من الأجيال.

الصورة 10: مدرسة حكومية في الأردن ليس لها هوية معمارية (المصدر: تصوير الباحث)

الصورة 11: مدرسة حكومية في الأردن ليس لها هوية معمارية (المصدر: تصوير الباحث)

القصور التخطيطي:

تتسم أغلب المدارس في الوطن العربي بالشكل المستطيل، وربما يرجع ذلك إلى ارتفاع أسعار الأراضي، إما لعدم الاهتمام التخطيطي للمدارس الخاصة والحكومية، وهذا بدوره قد جعل من تصميم المدارس نسخة مكررة، فبالنظر لمخططات المدارس الغربية نرى كيف تم تقسيمها برحابة وراحة نفسية، وأن الغرض ليس ربحيا فقط فلا مبرر في أن تكون المدارس بهذا الشكل سواء خاصه منها أو الحكومية، وخاصه أننا لا نفتقر لمادة أو حضارة أو مصممين أكفاء للاستعانة بالعمارة الإسلامية لتصميم المدارس بالوطن العربي.

ولا يقتصر هذا البحث على الاستعانة الحرفية من الطراز الإسلامي وخاصة في المدارس، حيث إنه مكلف ويحتاج الى وقت طويل لإنجازه، وتوافر الصانع الماهر، ولكن يوصى بالاقتباس منه بحرفيه تصميمية عالية، بحيث لا تفقد شخصيتها الأصيلة وفي نفس الوقت يمكن الاستعاضة بخامات حديثة لم تكن معروفة قديما كاللدائن ومشتقاتها، بحيث تعطى صورة مماثلة لمفردات الطراز، ولكن بمواد مختلفة أقل سعرا وأسرع تنفيذا.

الشكل 15: قطع زخرفية مصنعة من مواد بلاستيكية ولدائنية (المصدر: www.shutterstock.com)

الشكل 16: قطع زخرفية مصنعة من مواد بلاستيكية ولدائنية (المصدر: www.shutterstock.com)

حرفية الاقتباس: إن التصميم المدرسي الذي يحمل طابعا إسلاميا يحتاج إلى مصمم حرفي يوازن ما بين مفردات الطراز المتعددة وكيفية الانتقاء من مفرداتها التي تخدم التصميم المدرسي المراد، بحيث لا تخرج عن نطاق كونها مدرسة وليست جامع أو سبيل أو أي شيء آخر.

وبهذا الصدد وضعت تصورات استرشادية لما يمكن اقتباسه من الطراز الإسلامي وهي عديدة، ولكي تكون الصورة مكتملة فسوف يتم استعراض بعض المساقط الأفقية والواجهات المقترحة، التي تسهم في أن يكون للمبنى المدرسي شكلا ووظيفة مميزه تعتاد عليها تباعا.

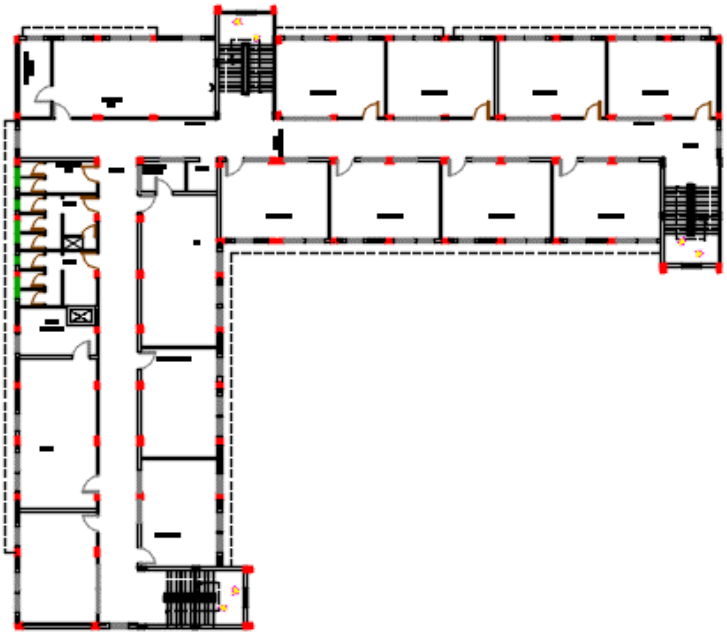

واجهات ومساقط مقترحة لتصميم المدارس على الطراز الإسلامي:

اقترح الباحث أن يتم اتباع التنسيقات التالية منعا لتكدس الطلبة في أروقة الفصول الدراسية، مع استخدام عناصر منتقاة وظيفيا وشكليا من مفردات العمارة الإسلامية.

الشكل 17: منظور مقترح لواجهة مدرسة الدر المنثور في محافظة الزرقاء بعد إضافة الطابع الإسلامي عليها (المصدر: تصميم الباحث)

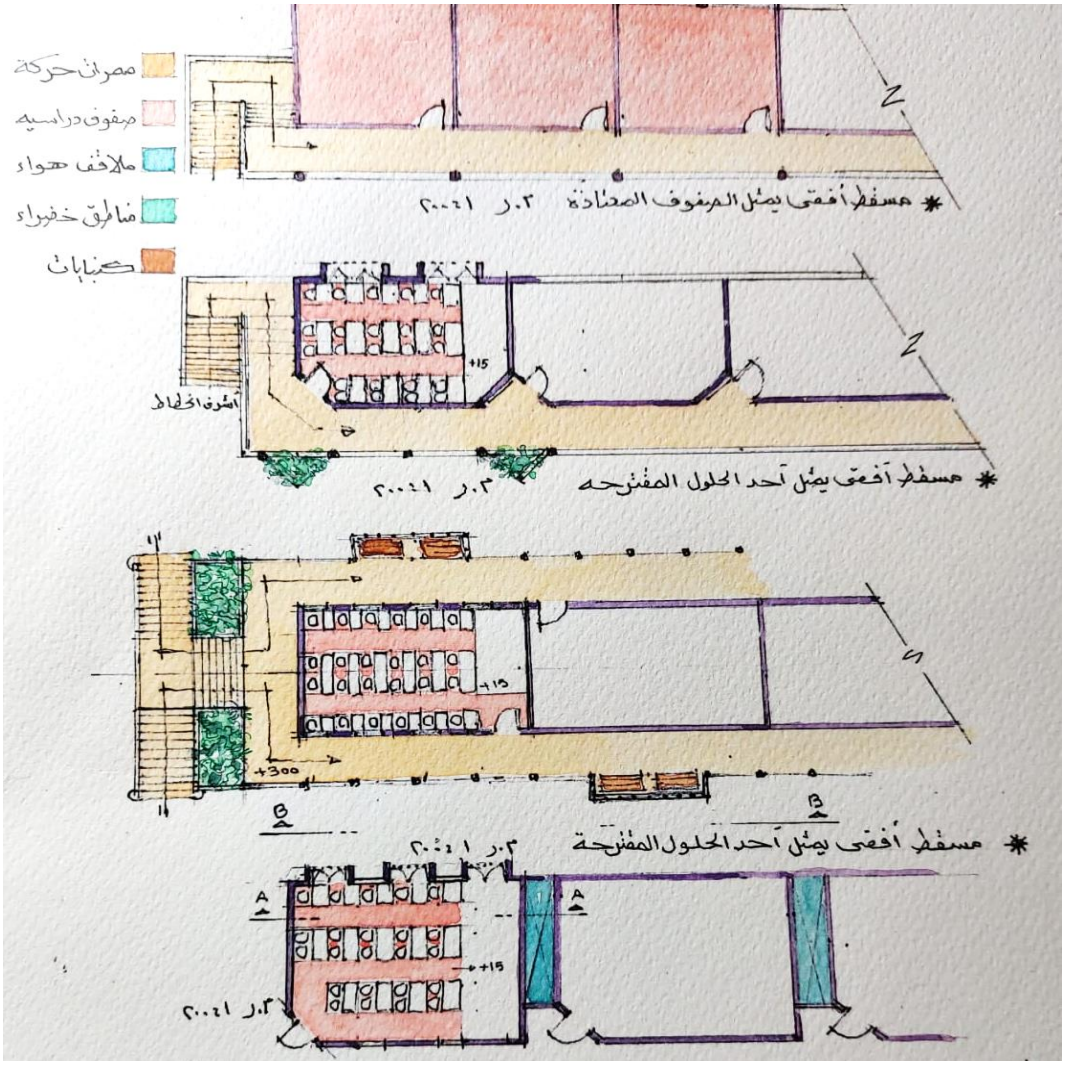

الشكل 18: بعض التصاميم لمساقط افقية مقترحة، توضح كيفية إعادة توجيه حركة الطلاب من وإلى الفصول الدراسية لمنع التكدس، مع استغلال عنصر الملقف الإسلامي كوسيلة تهوية للمبنى (المصدر: تصميم الباحث)

الشكل 19: لقطة منظورية مقترحة لاستخدام المشربية على نوافذ الفصل الدراسي، خصوصا للمطلة منها على الخارج، وذلك للتحكم بالتهوية الجيدة وعدم تشتيت انتباه الطلاب بالأحداث الخارجية (المصدر: تصميم الباحث)

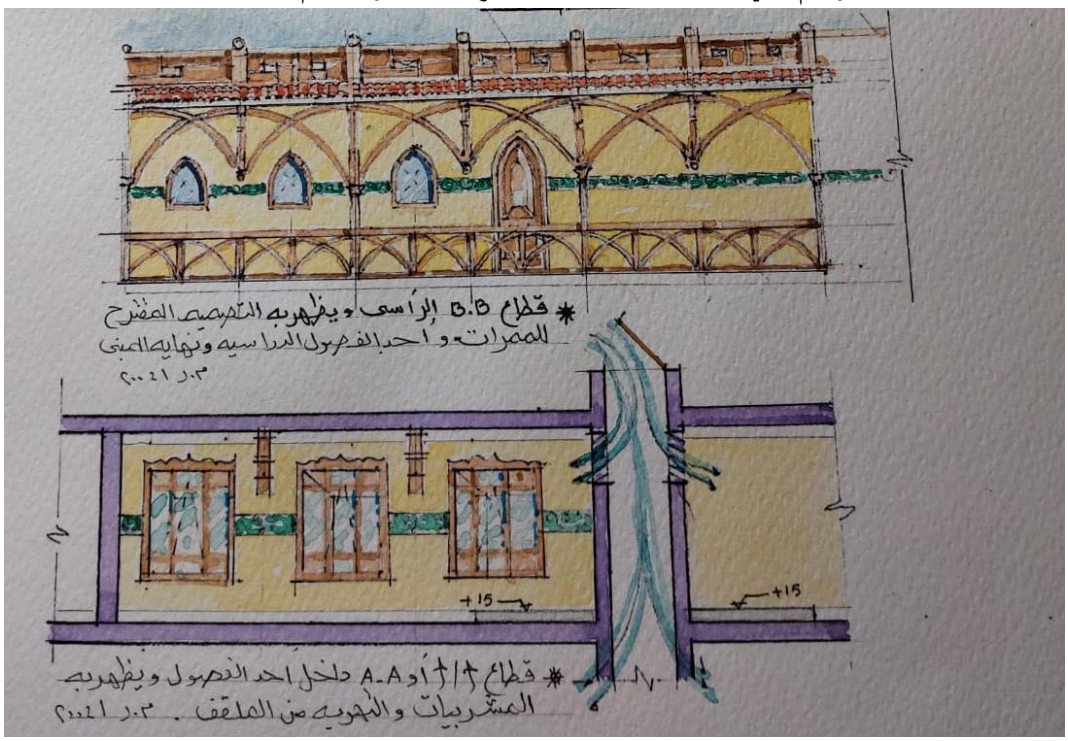

الشكل 20: مقاطع مقترحة للواجهات الداخلية في المدرسة مع استخدام عناصر العمارة الإسلامية مثل الأقواس والمشربيات والملاقف (المصدر: تصميم الباحث)

النتائج والتوصيات:

خلص البحث إلى الاستعانة بالطراز الإسلامي المعماري في إنشاء المدارس وخاصه الأساسية منها يضفي على الطالب نوعا من القبول النفسي والاقبال على التعليم، إضافة إلى توعيته الثقافية بالطراز المعماري الإسلامي الذي هو مملوك له وعليه، وكانت النتائج كالاتي:

1. إقامة المدارس على الطراز الإسلامي من مفردات منتقاة ومحببة للطالب، كعنصر جذب وتثقيف.
2. أن يكون حوش المدرسة في المنتصف لمزيد من الإشراف والأمن.
3. المدارس الخاصة والحكومية على حد سواء تخضع لمعايير تقييمية مثل الفنادق، وذلك حسب المساحة المتاحة والتشطيبات والمواصفات القياسية والاستيعابية، وتحدد عليها مقدار الرسوم المدرسية بالنسبة للمدارس الخاصة.
4. أن يكون هناك حد أدنى للطراز الإسلامي في المدارس تحدده لجنة مختصة من وزاره التربية والتعليم.
5. مراعاة الجانب الامني لمتطلبات الدفاع المدني في حالات الطوارئ.
6. ألا يزيد عدد طوابق المدرسة عن طابق أرضي وأول وثان بأي حال من الأحوال.
7. الالتزام بالاشتراطات العالمية في الحد الأدنى لاستيعاب الفصل وهو 20-24 طالب.
8. أن يكون للمدرسة حوش يتناسب مع عدد الطلاب، أو أن تكون الفرصة على فترتين كل منها يحتمل نصف عدد الطلاب لمنع التكدس والاحتكاك.
9. إدراج حصة اسبوعية لكل فصل وخاصة في مادة الرسم يتثقف فيها الطالب جماليات العمارة الإسلامية، ويتم فيها تحفيظه بأسماء مفرداتها وزخارفها، وأنها ارثه الذي لا يمكن تركه أو اهماله.
10. يفضل ألا يكون للمدرسة سور خارجي مصمت قدر الإمكان، ويكتفي بباب للمدرسة للسيطرة والحماية حيث إن وجود سور يعطي احساسا غير محبب للطفل، وقد يربى عنده نوع من تحدي اجتيازه.
11. يمكن الاستعانة بالمواد الحديثة للدائن كبديل جيد الخامات القديمة عالية التكاليف.

المصادروالمراجع

القرآن الكريم.

إنجيل سفر الأمثال.

الخولى، م.، الشوربجى، م.، الشربينى، ح.، & محمد، خ. (2016). الإفادة من العمارة الإسلامية في العصر العباسي كمدخل للتصميم المعاصر. مجلة بحوث التربية النوعية، 2671-290.

السمالوطي، م. (1994). علم النفس التربوي. القاهرة: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة.

السيد، م. (2021). تصميم طباعة أقمشة مكملات الملابس بتطبيق الفن الاختزالي. مجلة التراث والتصميم، 1(4)، 91-109.

الصافي، ي. (2021). المميزات التشكيلية للخط للعربي.

العطا، و. (2020). العمارة النفسية -كيف تؤثر العمارة على صحة الإنسان؟

الغيط، ش. (2017). المقرنصات دراسة تحليلية تطبيقية .النور للنشر.

النمائية، أ. (2021). الفرق بين التعلم والتعليم: ما بين سقراط ومدّعي العلم.

إمام، م. (2007). تحديث القيم التحليلية لمفردات العمارة الداخلية الإسلامية وأثره على حركة التصميم المعاصرة. القاهرة: رابطة الجامعات الإسلامية.

بونعمان، س. (2012). التجربة اليابانية دراسة في أسس النموذج النهضوي. بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات.

حسن، د. (2007). اللغة السيكولوجية في العمارة، المدخل إلى علم النفس المعماري. دمشق: دار الصفحات.

زينهم، د. (2017). فلسفة ورمزية اللون فى الفنون التطبيقية وتأثيره على القيمة الوظيفية فى العمارة الدينية. روما: مؤتمر اللون في إيطاليا.

سليمان، ب. (2015). فلسفة جون لوك وأبعادها التربوية: دراسة وصفية تحليلية. رسالة ماجستير منشورة، دمشق، جامعة دمشق.

صحيفة المشرق .(2021) .المركز الثقافي البغدادي.. عودة بالزمن العراقي وإحياء مجالس القصص.

عثمان، م. (2019). أثر الوظيفة على تصميم الحيز المعماري المستدام في مدارس الأساس بمدينة الخرطوم بحري. أطروحة تكميلية لنيل درجة ماجستير التصميم المعماري، الخرطوم، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.

عيسى، أ. (1988). معجم مصطلحات الفن الاسلامي. استانبول: مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية.

مغربي، ه. (2019). استخدام العناصر المستقاة من الفنون الإسلامية في تصميم الهوية البصرية للمؤسسات. مجلة بحوث التربية النوعية، 111-142.

نهرو، أ. (2016). الأعمدة وأنواعها في العمارة الإسلامية.

References

Ritchie, A., & Thomas, R. (Eds.). (2013). Sustainable urban design: an environmental approach. Taylor & Francis.

Friedman, A., & Savage, G. (2021). Interior Design. Britannica. https://www.britannica.com/art/interior-design.

Civilization Lovers. (2012). https://civilizationlovers.wordpress.com/.

Shootinjapan.net. (2021). Former Toyama Jinjo Elementary School. https://shootinjapan.net/spots/archives/1492.

UNICEF. (2021). United Nations Convention on the Rights of the Child – Children's Edition. https://www.unicef.org/ar.

United Nations Organization. (2021). sustainable development goals. https://www.un.org/sustainabledevelopment/education/ .

WD Arabia. (2016). Sitat Eashar Shayyan Yatamayaz Bih Al'alman Ean Ghayrihim Ealaa Mustawaa Alealami. https://2u.pw/Y6UvS.

Wikipedia. (2021). https://ar.wikipedia.org/wiki/.